كتاب النية والإخلاص والصدق

وفيه ثلاثة أبواب :

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الأول

في النية

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [1]. والمراد بالإرادة النية.

وفي **الصحيحين** عن عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» [2].

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 52.

(2) من حديث عمر: أخرجه مالك فى رواية محمد بن الحسن (ص 338، رقم 983 طبعة دار ابن خلدون)، وأحمد (1/ 25، رقم 168)، والبخارى (1/ 3، رقم 1)، ومسلم (3/ 1515، رقم 1907)، والترمذى (4/ 179، رقم 1647)، وأبو داود (2/ 262، رقم 2201)، والنسائى (6/ 158، رقم 3437)، وابن ماجه (2/ 1413، رقم 4227). وأخرجه أيضًا: ابن المبارك (1/ 62، رقم 188)، والحميدى (1/ 16، رقم 28)، والبيهقى (1/ 41، رقم 181)، والطحاوى (96/3)، والطبرانى فى الأوسط (1/ 17، رقم 40)، والخطيب (244/4)، وابن عساكر (166/32)، وابن منده فى الإيمان (1/ 363، رقم 201)، وتمام فى الفوائد (1/ 205، رقم 483)، والصيداوى فى معجم الشيوخ (1/ 117)، وابن خزيمة (1/ 73، رقم 142)، والدارقطنى (50/1)، وأبو عوانة (4/ 487، رقم 7438)، والبزار (1/ 380، رقم 257)، وهناد (2/ 440، رقم 871)، والبيهقى فى الزهد (2/ 131، رقم 241)، والحسن بن سفيان فى الأربعين (1/ 56، رقم 13)، وابن منده فى مسند إبراهيم بن أدهم (ص 24، رقم 13)، وأبو أحمد الحاكم فى شعار أصحاب الحديث (ص 35، رقم 20)، والحسن بن على العامرى فى الأمالى والقراءة (ص 34، رقم 26)، والسلفى فى مشيخة ابن الحطاب (ص 102 رقم 15)، والهروى فى الأربعين فى دلائل التوحيد (1/ 39، رقم 1)، والديلمى (1/ 118، رقم 401)، والقضاعى (1/ 35، رقم 1)، وابن حبان (2/ 113، رقم 388). =

قال الشافعي ـ رَحِمَهُ الله ـ : يدخل قوله ﷺ : «**إنما الأعمال بالنيات**» . في سبعين بابا من الفقه .

وقال أيضا : يدخل في هذا الحديث ثلث العلم . قال البيهقي ـ رَحِمَهُ الله ـ : معناه أن كسب العبد إنما يكون بقلبه ولسانه وبنانه ، فالنية أحد أقسام كسبه الثلاثة ، وهي أرجحها لأنها تكون عبادة بانفرادها بخلاف القسمين الآخرين ولأن القول والعمل يدخلهما الفساد بالرياء ولا يدخل النية [1].

وعن جابر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال : «**إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم المرض**» [2]. وفي رواية : «**إلا شركوكم في الأجر**» [3]. رواه مسلم .

وقال النبي ﷺ : «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**» .رواه مسلم [4].

وعن أبي موسى الأشعري ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : سئل رسول الله ﷺ عن

= ومن حديث أبى سعيد الخدرى : أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب (2/ 196، رقم 1173) وابن عساكر (235/62) .

ومن حديث أنس : أخرجه أيضًا : ابن عساكر (219/7) .

(1) السنن الصغرى (4) .

(2) أخرجه أحمد (3/ 103، رقم 12028) ، وابن أبى شيبة (7/ 425، رقم 37010) ، وعبد بن حميد (ص 412، رقم 1402) ، والبخاري (4/ 1610، رقم 4161) ، وأبو داود (3/ 12، رقم 2508) ، وابن ماجه (2/ 923، رقم 2764) ، وأبو عوانة (4/ 492، رقم 7455) ، وابن حبان (11/ 33، رقم 4731) .

(3) مسلم (3/ 1518، رقم 1911) ، وأخرجه أحمد 3/ 300، رقم 14246) ، وأبو عوانة (4/ 492، رقم 7453) .

(4) مسلم (1987/4 رقم 2564) ، وأخرجه أحمد (284/2 رقم 7814) ، وابن ماجه (2/ 1388، رقم 4143) . وأخرجه أيضًا : إسحاق بن راهويه (1/ 369، رقم 379) ، وابن حبان (2/ 119، رقم 394) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 328، رقم 10477) ، والديلمى (1/ 166، رقم 614) .

الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء: أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» .رواه البخاري ومسلم [1].

وعن أبي بكرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن النبي ﷺ قال: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» . قلت: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟! قال: «**إنه كان حريصا على قتل صاحبه**» .رواه البخاري ومسلم [2].

قال النووي: فيه دلالة للمذهب الصحيح الذي عليه الجمهور أن من نوى المعصية وأسر على النية يكون آثما وإن لم يفعلها ولا تكلم بها.

وعن ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال: «**إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ومن هم بها وفعلها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسيئة فلم يعلمها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة**» . رواه البخاري ومسلم [3].

(1) البخارى (6/ 2714، رقم 7020)، ومسلم (3/ 1513، رقم 1904)، وأخرجه أحمد (4/ 392، رقم 19511)، وأبو داود (3/ 14، رقم 2517) والترمذى (4/ 179، رقم 1646) وقال: حسن صحيح. والنسائى (6/ 23، رقم 3136)، وابن ماجه (2/ 931، رقم 2783). وأخرجه أيضًا: الطيالسى (ص 66، رقم 486)، وعبد بن حميد (ص 195، رقم 553)، والبزار (8/ 30، رقم 3010)، وأبو يعلى (13/ 234، رقم 7253)، وأبو عوانة (4/ 487، رقم 7435)، وابن حبان (493/10 رقم 4636) والبيهقى فى السنن الكبرى (167/9 رقم 18325)، وفى شعب الإيمان (4/ 30، رقم 4263)

(2) البخارى (20/1 رقم 31)، ومسلم (2214/4 رقم 2888) وأخرجه أحمد (43/5 رقم 20456) وأبو داود (4/ 103، رقم 4268)، والنسائى (7/ 125، رقم 4122).

(3) أخرجه البخارى (5/ 2380، رقم 6126)، ومسلم (1/ 118، رقم 131). وأخرجه أيضًا: أحمد (1/ 310، رقم 2828).

قال النووي ـ رَحِمَهُ الله ـ : فانظر يا أخي ـ وفقني الله وإياك ـ إلى عظم لطفه وتأمل هذه الألفاظ وقوله : «**عنده**» إشارة إلى الاعتناء بها . وقوله : «**كاملة**» للتوكيد وشدة الاعتناء بها ، وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها كتبها الله حسنة كاملة ، فأكدها بكاملة فلله الحمد والمنة .

وقال ﷺ : «**مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر ؛ رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ؛ ينفقه في حقه ، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول : لو كان لي مثل مال هذا لعملت فيه مثل الذي يعمل**» . قال رسول الله ﷺ : «**فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط فيه وينفقه في غير حقه ، ورجل لم يؤته مالا ولا علما فيقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل**» . قال رسول الله ﷺ : «**فهما في الوزر سواء**» [1].

قال رسول الله ﷺ : «**من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه منها إلا ما كتب له**» [2].

وفي حديث أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : «**من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان ، ومن أدان دينا وهو لا ينوي أداءه أي قضاءه فهو سارق**» [3].

وقال ﷺ : «**من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن**

(1) أخرجه أحمد (4/ 230، رقم 18053) ، وهناد (1/ 323، رقم 586) ، وابن ماجه (2/ 1413، رقم 4228) ، والطبرانى (22/ 345، رقم 867) ، والبيهقى (4/ 189، رقم 7617) . وأخرجه أيضًا : الديلمى (4/ 145، رقم 6446) ، والخطيب (6/79) .

(2) أخرجه هناد (2/355) ، والترمذى (4/ 642، رقم 2465) .

(3) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (4/ 402، رقم 5549) .

تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة» .

وقال عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : أفضل الأعمال أداء ما افترض الله ، والورع عما حرم الله تعالى ، وصدق النية فيما عند الله تعالى .

وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز : اعلم أن عون العبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله تعالى له وإن نقصت نقص بقدره .

وقال بعض السلف : رب عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير تصغره النية .

وقال الثوري : كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل .

وقال بعض العلماء : طلب النية قبل العمل وما دمت تنوي للخير فأنت بخير .

وقال عمران الجوني : تصعد الملائكة بالأعمال فينادى الملك : ألق تلك الصحيفة . فتقول الملائكة : ربنا قالوا خيرا وحفظناه عليهم! فيقول تبارك وتعالى : إنه لم يرد به وجهي . قال : وينادى الملك : اكتب لفلان كذا وكذا مرتين . فيقول عز وجل إنه قد نواه .

وكان بعضهم يقول : دلوني على عمل لا أزال به عاملا لله تعالى . فقيل له : انوِ الخير ؛ فإنك لا تزال عاملا وإن لم تعمل ، والنية تعمل وإن عدم العمل ؛ فإنه من نوى أن يصلي بالليل فنام كتب له ثواب ما نوى أن يفعله .

وقد جاء في الحديث : «**ما من رجل تكون له ساعة من الليل يقومها فينام عنها إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة تصدق بها عليه**» [1].

(1) أخرجه أحمد (6/ 63، رقم 24386) ، وإسحاق بن راهويه (3/ 938، رقم 1640) .

وفي الحديث: «**نية المؤمن خير من عمله**»[1].

قال أبو الليث السمرقندي ـ رَحِمَهُ الله ـ: قال بعض أهل العلم: لأنه قد يثاب على نية الخير وإن لم يعمله، ولا يثاب على عمل بلا نية[2].

وقال بعضهم: نية المؤمن خير من عمله لطول نيته وقصر عمله؛ لأنه قد ينوي أن يعمل الخير ما بقي ولا يستطيع أن يعمل الخير ما بقي.

وقال بعضهم: لأن النية عمل القلب والقلب معدن المعرفة وما كان من معدن المعرفة كان أفضل من غيره.

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه الطبراني (6/ 185، رقم 5942)، والخطيب (237/9).

(2) تنبيه الغافلين 154.

obeikandl.com

الباب الثاني

في الإخلاص

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ . أي : مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ (1). أي : الملة الشريفة المستقيمة .

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لمعاذ بن جبل ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : «**أخلص نيتك يكفك القليل من العمل**» (2).

وعن أنس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : «**إذا كان يوم القيامة جاءت الملائكة بصحف مختمة فيقول الله عز وجل ألقوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما كتبنا إلا ما كان فيقول إن هذا كان لغيري ولا أقبل إلا ما كان لي**» (3).

وعن النبي ﷺ قال : «**إن الملائكة يرفعون عمل العبد فيكثرونه ويزكونه فيوحي الله سبحانه وتعالى إليهم أنتم حفظة على عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه إن عبدي لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين ويصدرون بعمل فيستقلونه فيوحي الله إنكم حفظة على عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه فضاعفوه واجعلوه**

(1) سورة البينة ، الآية : 5.

(2) أخرجه ابن أبى حاتم كما فى تفسير ابن كثير (571/1) ، والحاكم (4/ 341، رقم 7844) وقال : صحيح الإسناد ، وتعقبه الذهبى بقوله : غير صحيح . وأبو نعيم فى الحلية (244/1) . وأخرجه أيضًا : البيهقى فى شعب الإيمان من طريق ابن أبى الدنيا (5/ 342، رقم 6859) ، والديلمى (1/ 435، رقم 1772) . قال المناوى (217/1) : قال العراقى : رواه الديلمى ، وإسناده منقطع .

(3) أخرجه الديلمي (1/ 254، رقم 985) .

في عليين» [1].

وقال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يخلص العمل لله تعالى أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**» [2].

حكايتان ذكرهما الغزالي في الإحياء :

الأولى: قال الحسن ـ رَحِمَهُ الله ـ : كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال: لأقطعن هذه الشجرة، فجاء إليها ليقطعها غضبا لله تعالى، فلقيه الشيطان في صورة إنسان فقال: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله. قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك مَن عَبَدَها. قال: لأقطعنها. قال: فإني لا أتركك أن تقطعها فقاتله فأخذه العابد فطرحه إلى الأرض وقعد على صدره، فقال له الشيطان: هل لك فيما هو خير لك من ذلك؟ لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك، قال: فمن لي بذلك؟ فقال: أنا لك. فرجع فأصبح فوجد عند وسادته دينارين، ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئا، فقام غضبان ليقطعها، فتمثل له الشيطان في صورته فقال: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله. قال: كذبت ما لك إلى قطعها سبيل فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله، ثم قال: أتدري من أنا؟ أنا الشيطان وقال: جئت أول مرة غضبا لله تعالى، فلم يكن لي عليك سبيل فخدعتك بالدينارين فتركتها، فلما فقدتهما جئت غضبا للدينارين فسلطت عليك.

الثانية: حكي أن رجلا كان يخرج في زي النساء فيحضر حيث يحضرن؛

(1) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (1/ 153، رقم 452).

(2) أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أبى أيوب

من عرس أو مأتم، فاتفق أنه حضر يوما في مجمع النساء فسرقت درة، فصاحوا أغلقوا الأبواب حتى نفتش، ففتشوا واحدة بعد واحدة حتى إذا بلغت النوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه، فدعا الله تعالى بالإخلاص، وقال: إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا، فوجدت الدرة مع تلك المرأة وصاحوا أطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة.

❊ ❊ ❊

obeikandl.com

فصل

في معنى الإخلاص

قال أبو القاسم القشيري[1] ـ رَحِمَهُ الله تعالى ـ : الإخلاص إفراد الحق سبحانه وتعالى في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنع المخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى، قال: ويصح أن يقال الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين. وقال حذيفة المراعشي الإخلاص استواء أفعال العبد في الظاهر والباطن. وقال الفضيل ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

وعن سهل التستري ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: نظرت الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى لا تمازجه نفس ولا هوى ولا دنيا.

❊ ❊ ❊

(1) الرسالة القشيرية 95.

الباب الثالث

في الصدق

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [1].

وفي **الصحيحين** عن ابن مسعود ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن النبي ﷺ قال : «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا**» [2].

وقال ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ : أربعة من كن فيه فقد ربح ؛ الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر .

وقال بشر بن الحارث : من عامل الله تعالى بالصدق استوحش من النار .

وقال النووي في قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [3]. قال : هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا فيها صادقين .

وقال بعضهم : أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال إذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعض الإسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الأعمال وطيب المطعم .

---

(1) سورة التوبة : الآية : 119.

(2) أخرجه البخارى (5/ 2261، رقم 5743) ، ومسلم (4/ 2012، رقم 2607) . وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (9/ 71، رقم 5138) ، وابن حبان (1/ 508، رقم 273) ، والبيهقى (10/ 243، رقم 20927) .

(3) سورة الزمر ، الآية : 60.

باب

المحاسبة والمراقبة

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾. أي يحدث به قلبه فلا تخفى علينا سرائره وضمائره ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[1] لأن أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن الله تعالى شيء وحبل الوريد عرق العنق وهو عرق بين الحلقوم والعلياوين يتفرق في البدن والحبل هو الوريد فأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

وقال تعالى ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾[2] أي: خيانتها وهي سارقة النظر إلى ما لا يحل. قال مجاهد: هو نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[3]. أي: هو الأول قبل كل شيء بلا ابتداء كان هو ولم يكن شيء موجودا والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء تفنى الأشياء ويبقى هو الظاهر الغالب العالي على كل شيء والباطن العالم بكل شيء، هذا معنى قول ابن عباس.

وقال يمان: هو الأول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم.

وقال السدي هو الأول ببره إذ عرفك توحيده والآخر بجوده إذ عرفك التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه إذ وفقك للسجود له والباطن بستره إذ عصيته فستر عليك.

(1) سورة ق، الآية: 16.

(2) سورة غافر، الآية: 19.

(3) سورة الحديد، الآية: 3.

وقال الجنيد هو الأول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب .

وسأل عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ كعبا عن هذه الآية فقال معناها أن علمه بالأول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن .

وفي **صحيح مسلم** عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه : «**اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر**» [1].

وقال تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [2].

وفي **صحيح مسلم** في حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ عن الإحسان فقال : «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإن يراك**» [3].

وعن أبي ذر ومعاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال : «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**» [4]. حسنه الترمذي .

---

(1) أخرجه الترمذى (5/ 518، رقم 3481) ، وقال : حسن غريب . وابن ماجه (2/ 1259، رقم 3831) ، وابن حبان (3/ 246، رقم 966) . وأخرجه أيضًا : ابن أبى شيبة (6/ 43، رقم 29343) .

(2) سورة الحديد ، الآية : 4.

(3) أخرجه أحمد (2/ 426، رقم 9497) ، والبخارى (1/ 27، رقم 50) ، ومسلم (1/ 39، رقم 9) ، وابن ماجه (1/ 25، رقم 64) .

(4) أخرجه أحمد (5/ 153، رقم 21392) ، والترمذى (4/ 355، رقم 1987) وقال : حسن صحيح . والدارمى (2/ 415، رقم 2791) ، والحاكم (1/ 121، رقم 178) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى . والبيهقى فى شعب الإيمان (6/ 245، رقم 8026) . وأخرجه أيضًا :=

وعن ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ قال: كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال: «**يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[1]. رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية غير الترمذي: «**احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أخطاك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا**»[2].

وعن شداد بن أوس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن النبي ﷺ قال: «**الكيس**[3] من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».[4] رواه الترمذي وقال: حديث حسن. قال الترمذي وغيره من العلماء:

=البزار (9/416 رقم 4022) وأبو نعيم فى الحلية (4/378).

(1) أخرجه أحمد (1/ 293، رقم 2669)، والترمذى (4/ 667، رقم 2516) وقال: حسن صحيح. والحاكم (3/623 رقم 6302) وقال: عال من حديث عبد الملك بن عمير عن ابن عباس. والضياء (10/ 25، رقم 15). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (4/ 430، رقم 2556).

(2) يراجع التخريج السابق.

(3) الكيس: العاقل.

(4) أخرجه ابن المبارك (1/ 55، رقم 171)، والطيالسى (ص 153، رقم 1122)، وأحمد (4/ 124، رقم 17164)، والترمذى (4/ 638، رقم 2459) وقال: حسن. وابن ماجه (2/ 1423، رقم 4260)، وأبو نعيم فى الحلية (1/267)، والبيهقى (3/ 369، رقم 6306)، والطبرانى (7/ 281، رقم 7141)، والحاكم (1/ 125، رقم 191) وقال: صحيح على شرط البخارى. وأخرجه أيضًا: أخرجه البزار (8/417 رقم 3489)، والقضاعى (1/ 140، رقم 185)، وابن أبى عاصم فى الزهد (1/38)، والديلمى (3/ 310، رقم 4930).

معنى من دان نفسه حاسبها.

وقال ابن المبارك لرجل: راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره، فقال: كن أبدا كأنك تراه. وقال رجل للجنيد: بم أستعين على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه.

وسئل المحاسبي ـ رَحِمَهُ الله ـ عن المراقبة قال: أولها علم القلب بقرب الرب تعالى.

وقال محمد بن علي الترمذي: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمته عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه.

وسئل بعضهم عن قوله تعالى: ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [1]. فقال: معناه ذلك لمن راقب ربه تعالى وحاسب نفسه وتزود لمعاد.

وقال حميد الطويل لسليمان بن علي: عظني. فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت.

وسئل حاتم ـ رَحِمَهُ الله ـ: فيم أفنيت عمرك؟ قال: في أربعة أشياء؛ علمت أني لا أخلو من نظر الله طرفة عين فاستحييت أن أعصيه، وعلمت أن لي رزقا لا يجاوزني وقد ضمنه الله لي فوثقت به وقعدت عن طلبه، وعلمت أن علي فرضا لا يؤديه غيري فاشتغلت به، وعلمت أن لي أجلا يبادرني فبادرته.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود ـ عليه السلام ـ يا داود، اطلبني عند قوم لا يشبعون إذا شبع الناس. قال: إلهي كيف وأنت الجبار الذي لا يخلو منك

(1) سورة البينة، الآية: 8.

مكان؟! قال : يا داود أنا مع الخلائق بعلمي ، ومع أهل محبتي بحظي .

قال بعض السادة : رأيت غلاما في البرية وهو قائم يتعبد وليس معه أحد ، فسلمت عليه وقلت له : يا فتي ، أنت في مكان منقطع بلا معين ولا رفيق! فقال : بلى وعزته معي المعين والرفيق . فقلت له : أين المعين والرفيق؟ فقال : هو فوقي بقدرته ، ومعي بعلمه وحكمته ، وبين يدي بهدايته ، وعن يميني بنعمته ، وعن شمالي بعصمته .

وقال الفضيل ـ رَحِمَهُ الله ـ : يا مسكين تغلق بابك وترخي سترك وتستحي من الناس ولا تستحي من الملكين اللذين معك ولا تستحي من القرآن الذي في صدرك ولا تستحي من الجليل سبحانه وهو لا تخفى عليه خافية .

وروي أن حبشيا أتى إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة؟ قال نعم قال فهل كان الله يراني قال نعم فصاح الحبشي ووقع ميتا .

وفي بعض الكتب المنزلة : ما بال الرجل يجلس إليك فيحدثك فتصغي إليه فإذا أكلمك مكلم أومات إليه إعظاما بجليسك؟ وتقف في الصلاة بين يدي وقلبك مع غيري أمن الإنصاف هذا أن ترضى لي ما لا ترضاه لغيري؟ عبدي لا تفعل ، يا عبدي أما استحييت مني يأتيك كتاب من عند بعض إخوانك وأنت تمشي في الطريق فتعدل عن الطريق لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك حرف منه ، وهذا كتابي أنزلته إليك انظر كم وصلت لك فيه من الفوائد ، وكم كررت عليك لتتأمل طوله وعرضه ، ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك؟ يا عبدي ، يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومات إليه كيف وها أنا مقبل عليك مخاطب لك وأنت معرض بقلبك عني؟ أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك؟ عبدي لا تفعل .

حكايات

الأولى: عن عبد الله بن دينار قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ﷺ إلى مكة فعرسنا في بعض الطريق، فانحدر عليه راع من الجبل فقال له: يا راعي، بعني شاة من الغنم. فقال: إني مملوك. فقال: قل لسيدك: أكلها الذئب. قال: فأين الله تعالى؟ فبكى عمر ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من سيده وأعتقه، وقال: أَعْتَقَتْكَ في الدنيا هذه الكلمات، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

الثانية: حكي أنه كان لبعض المشايخ تلميذ شاب وكان يكرمه فقال له بعض أصحابه: كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ؟ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طيرا وسكينا وقال: ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع لا يراه أحد، ودفع إلى الشاب مثل ذلك وقال: اذبحه حيث لا يراك أحد. فرجع كل واحد بطيره مذبوحا، ورجع الشاب والطير حي في يده، فقال: ما لك لم تذبح وقد ذبح أصحابك؟ فقال: لم أجد موضعا لا يراني فيه أحد؛ إذ الله مطلع علي في كل مكان. فاستحسنوا مراقبته، فقالوا: حق لك أن تكرمه.

الثالثة: حكي أن زليخا لما خلت بيوسف ـ عليه السلام ـ فقامت وغطت وجه صنمها فقال يوسف: ما لك أتستحين من مراقبة جماد ولا تستحي من مراقبة الملك الجبار؟ قيل: لما راودته عن نفسه قالت له: ما أحسن شعرك. قال: هو أول ما ينتشر من جسدي. قالت: ما أحسن عينيك. قال: هما أول ما يسيلا على وجهي في قبري. قالت: ما أحسن وجهك. قال: هو للتراب يأكله.

الرابعة: حكي عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت: ألا تستحي؟ فقال: ممن استحي وما يرانا إلا الكواكب. فقالت: وأين مكوكبها؟

الخامسة: قيل: كان طاوس اليماني ـ رَحِمَهُ الله ـ بمكة فراودته امرأة عن

نفسه فلم يزل بها حتى أتى بها إلى المسجد الحرام والناس مجتمعون ، فقال لها : اقضي ما تريدين . قالت : في هذا الموضع والناس ينظرون؟ قال : فالحياء من نظر الله أحق . فتابت المرأة وحسنت توبتها .

السادسة : حكي أن منصور بن عمار رضي الله تعالى عنه مرّ فوجد شابا يحدث امرأة ، فانصرف الشاب فتقدم منصور إلى المراة فكلمها أن تذهب معه ومشت خلفه حتى دخل إلى منزله ، فقعدت ووقف منصور يصلي ، فطول عليها فلما سلم قالت : يا هذا ، طولت علي . فقال لها : ما تقولين في رجل عليه حق بأربعة شهود ، والحاكم يعلم به هل يقدر أن يمتنع منه بجحوده؟ قالت : لا والله . قال : فإن معي ملكين ومعك ملكين ، والحاكم يعلم فاضطربت المرأة ووقعت ميتة .

السابعة : حكي أن رجلا تعلق بامرأة ببغداد فأبت أن تمكنه ، وكل من جاء يخلصها منه طعنه بسكين ، وكان شديدا ، فمر عليه بشر الحافي فدنا منه وحك كتفه بكتفه ، فوقع على الأرض وهربت المرأة ومضى بشر ، فدنا الناس من الرجل وإذا هو يرشح عرقا كثيرا ، فسألوه عن حاله قال : حك كتفي شيخ . وقال : إن الله ناظر إليك وإلى عملك وما تعمل . فأصغيت لقوله ولا أدري من هو ، فقيل إنه بشر الحافي . فحُمَّ وقال : وا سوأتاه كيف ينظر إلي بعد اليوم؟ فحم من يومه ومات يوم سابعه ـ رَحِمَهُ الله ـ .

❊ ❊ ❊